مجلد 5 ع3 (عدد 13) / جوان 2020 –شوال 1441 السنة السادسة ISSN: 2352-9770 / EISSN: 2602-5337

دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العصر الحديث

-كتاب التشريفات أنموذجا-

The role of the French writers in rewriting Algeria's modern history – Tachrifat book as a model

زلاط حفيظة طرشون نادية

جامعة المدية

البريد الإلكتروني hafisim4@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-12-30 تاريخ القبول : 2019-12-30

الملخص-

تتسم الكتابات الغربية للتاريخ الجزائري كالكثير من غيرها من كتابات المستشرقين بالسطحية و المبالغة و محاولة لتشويه الحقائق التاريخية.و قد اعتمدت على كتابات الأسرى و رجال الدين و المصادر المحلية الخالية من المصداقية، لكن قرب مؤرخيهم من الوثائق يجعلنا نبحث في كتاباتهم لعلنا نميز القيم منها.

ويعتبر ألبير دوفو أحد أهم من أرخوا لتاريخ الجزائر الحديث من الفرنسيين، و لعل ما يكسب كتاباته مصداقية هو كونه محافظا للأرشيف العربي بمصلحة الدومين، وهو ما جعله يطلع على وثائق أصلية.

وتكمن أهمية هذا الكتاب الذي يعتبر من أكثر الكتب الغربية التي كتبت عن تاريخنا قيمة لكونه مصدرا أرشيفيا قبل أن يكون كتابا، وقد أشار صاحب كتاب ورقات إلى وجود الوثائق الأصلية التي أخذ عنها دوفو في كتابه هذا في أرشيف المكتبة الوطنية.

و يشتمل دفتر التشريفات على كثير من الأحداث التاريخية السياسية العسكرية و الإقتصادية ، فقد قسم إلى ست فصول تناول فيها الحرب مع المغرب و حملة تونس و سقوط وهران، كما تعرض لضرائب العشور و الزكاة و اللزمة و الغرامة و المعونة و القبلية وجزية اليهود و العوائد و الدنوش والرسوم المفروضة على أراضي البايلك ، و ما يهتم بغنائم الجهاد البحري و أتاوات و هدايا الدول الأجنبية و رسوم الجمارك و الأسواق. وكذا حركة الجيوش البرية و البحرية و الحاميات العسكرية و الثكنات و أجور الانكشاريين و رؤساء البحر و رواتب الموظفين و العمال، و صفقات التجهيز و شراء العتاد و الأسلحة و مصاريف الموظفين و المرافق العامة من عيون و سواقي،بالإضافة إلى أوجه الإنفاق على تلك الهدايا التي كانت تبعث بها الإيالة إلى اسطنبول، و الهدايا التي كانت تتلقاها من سلاطين الدولة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: دفتر التشريفات، ألبير دوفو، الهدايا، الضرائب، الأسرى

Astract—

The Western writings of Algerian history seem to be like many other orientalist writings, superficial, exaggerated, and attempting to distort historical facts. They have relied on the writings on prisoners, clergy and local sources without credibility, But the proximity of their historians of the documents makes us look at their writings, perhaps we distinguish the good ones. Albert Duvo is one of the most important historians of modern Algeria, and perhaps his credibility is earned by being a custodian of the Arab archive in the Dominion, which has made him aware of original documents. The importance of this book, which is one of the most Western books that have written about our history, is valuable because it is an archival source before it is a book. The author of the paper pointed to the existence of the original documents that Doffo wrote in this book in the archives of the National Library. The book includes many historical events, political, military and economic, divided into six chapters dealt with the war with Morocco and the campaign of Tunisia and the fall of Oran, and was subjected to taxes Tithe and Zakat and required and the fine and aid and tribal and Jewish tribute and returns and Dannush and fees imposed on the territory of the Palek, And what is

concerned with the spoils of maritime jihad and the royalties and gifts of foreign countries and customs duties and markets. As well as the movement of land and sea armies, military garrisons, barracks, wages of the Ancars and heads of the sea and the salaries of employees and workers, and transactions and the purchase of equipment and weapons and expenses of staff and public utilities of eyes and Swazi, as well as objects of spending on those gifts that She was sent to Istanbul, and the gifts she received from the sultans of the Ottoman Empire.

Key words: Daftar tachrifat, albert devoulx , gifts, taxes, prisoners.

استطاع الفرنسيون منذ دخولهم للجزائر جمع الكثير مما وقع في أيديهم من وثائق و آثار و مخطوطات، بهدف محاولة فهم المجتمع و بالتالي إحكام السيطرة عليه في مختلف مجالاته. و قد استعمل الفرنسيون المصادر الغربية و الأرشيفات الأوروبية التي يتألف أغلبها من مذكرات الرحالة و مراسلات القناصل و تقارير الجواسيس و انطباعات الرهبان و كتابات الأسرى، و بذلك ظلت المصادر المحلية المتمثلة في الأرشيف والمخطوطات بالجزائر و تركيا مهملة رغم كونها المادة الخام و الأصلية لمثل هذه الدراسات. و إن من بين أثرى الفترات التاريخية من حيث الوثائق الفترة العثمانية، حيث أن العثمانيين تميز حكمهم بالتنظيم الإداري و تدوين كل التفاصيل، وإنّ أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية، والتي تمت على يد كتاب فرنسيين تعتبر دراسات مغرضة، فهي تهدف إلى خدمة الاستعمار الفرنسي في مجال التاريخ، بحيث أخضعت منهجية التاريخ ومتطلبات البحث إلى واقع الاحتلال ومرامي السياسة الاستعمارية. فالوجود العثماني بالجزائر في نظر الفرنسيين كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر لمقوّمات الدولة الوطنية وأعاق تطور النظم الاجتماعية والاقتصادية. وقد أدّت هذه النظرة المغرضة بالكتاب الفرنسيين إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري، واعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك وأمّة متكاملة.

وتتسم غالبية الكتابات الفرنسية عن التاريخ الجزائري بالكثير من السطحية و تهتم بالقضايا الجانبية والموضوعات الهامشية، بحيث ظلّ الاهتمام والتركيز منصبا على مدينة الجزائر وعلى ما يهمّ الأوروبيين مثل الاحتكارات التجارية ومشاكل القرصنة المتعلقة بفداء الأسرى ودفع الإتاوات والهدايا، والحملات البحرية العدائية التي شنّها الأوروبيون على السواحل الجزائرية. و من بين الكتاب الذين أرخوا للفترة الحديثة في الجزائر ألبير دوفو الذي كتب العديد من المقالات و الكتب عن هذه الفترة، ومن مؤلفاته "كتاب التشريفات" الذي هو موضوع هذه الدراسة، فهما هي الإضافة التي أعطاها هذا الدفتر للبحث التاريخي في الجزائر؟ و ما نهج دوفو في طرحه لهذا الكتاب؟

التعريف بالكاتب:

ألبير دوفو (Albert Devoulx) مستشرق فرنسي ولد سنة 1826 و توفي في 1876م،[1] تعلم اللغة العربية بعهد باب عزون، و كان لوالده ألفونس دوفو (Alphonse Devoulx)، أثر كبير في توجيه اهتماماته واختصاصه فيما بعد. وفي 13 أكتوبر سنة 1848 أعلن مرسوم الجنرال شارون (Charron) القاضي بالاهتمام بمخلفات الدولة من وثائق ودفاتر ورسوم، وعهدتها إلى الوكيل، ونتيجة لهذا المرسوم تم تعيين ألبير دوفو (Albert Devoulx) لهذه المهمة.[2] و شغل دوفو منصب محافظ الأرشيف العربي بمصلحة الدومين لمدة 25 سنة مما جعله يغوص في وثائق الجزائر التي فتحت شهيته للكتابة نظرا لكثرة عدد الوثائق التي خلفها الحكم العثماني فقد تمكن من جمع الآلاف من الوثائق ويذكر ذلك على لسانه:" من أنّه مرت على يديه حوالي

مائة ألف وثيقة"، فكتب الكثير من المقالات عن تاريخ الجزائر في المجلة الإفريقية -التي صدرت في الجزائر منذ منتصف القرن 19[3] حتى سنة 1878م، كما ألف العديد من الكتب عن الجزائر وكان عضوا مؤسسا في هيئة المؤرخين عن الجزائر، من أهم كتاباته: المباني الدينية في الجزائر القديمة، أرشيف القنصلية العامة الفرنسية، البحرية في إيالة الجزائر، و غيرها. لكن الوثائق الأرشيفة لم تقع بين أيد أمينة إذ أن دوفو فرط في كثير منها سواء عن طريق البيع أو الإهداء، فقد قام هذا الأخير بتقديم بعض الوثائق المهمة في شكل هدايا لبعض الحكام، حيث أن بعض بايات تونس سلم لهم دوفو ملفات من وثائق أرشيف الدومين من باب المجاملة و التقدير، فقد حظي الباي محمد بملف منها بتاريخ 11 مارس 1958م، و كذلك الباي محمد الصادق باشا الذي أهدى له دوفو ملفا آخر بتاريخ 2 جانفي 1861م و هذا بمناسبة زيارته للجزائر و الملفان يحتويان على 60 وثيقة على شكل فرمانات و رسائل بالعربية و التركية كان يتبادلها دايات الجزائر و سلاطين الباب العالي[4] كما أن جون ديني (Jean Deny) ذكر أنه حصل على 200 وثيقة مخطوطة تهمّ الجزائر من 1754 إلى 1829 وتتناول تاريخ الجيش الانكشاري، تحتوي على 25 فرمانا ورسائل وكلاء الجزائر وقناصلها في مدن البحر الأبيض المتوسط: مثل رسائل محمد علي حاكم مصر، عن طريق الشراء من مكتبات باريس، و يذكر أنها قد تكون من وثائق دوفو[5]، حالها حال الكثير من الوثائق الجزائرية التي ضاعت حيث ذكر بيليسي pelissier أن فرنسا أتلفت جزء كبيرا من الوثائق في الجزائر حتى أن الجنود كانوا يشعلون بها الغليون [6] و لم يقتصر ضياع الوثائق على مدينة الجزائر فقط بل عرفت بعض تلمسان و قسنطينة نفس المصير[7]

الجانب الشكلي للكتاب:

- يحمل الرقم 60 حسب الفهرس الذي وضعه دوفو.[8]
- ينقسم الكتاب إلى ست فصول.
- عنوانه: تشريفات- جمع ملاحظات تاريخية عن الإدارة في إيالة الجزائر القديمة.
- الطبعة: 1852.
- مكان الطباعة: المطبعة الحكومية، الجزائر العاصمة.
- عدد الصفحات 153 صفحة.

توازن الفصول:

يتوزع مضمون الكتاب على ست فصول غير متناسقة من حيث الشكل، إذ قسم دوفولكس الكتاب إلى ست فصول، أعطى عنوانا لكل فصل إلا الفصل السادس الذي جاء دون عنوان، ويحتوي كل فصل على عناوين جزئية لكن توزيع هذه العناوين ليس متناسقا إذ نجد الفصل الثالث مثلا و المعنون بالمكافآت و الهدايا نجد عنوانا واحدا في منتصف الفصل و هو الهدايا. كما أن عدد الصفحات التي يشغلها كل فصل فقد جاء الفصل الرابع في 53 صفحة بينما الثالث في 11 صفحة فقط .

مضمون الكتاب:

يعتبر كتاب التشريفات من المصادر المحلية الأساسية في فهم و كتابة تاريخ الجزائر الإداري السياسي الاقتصادي العسكري، فقد تناول أحداثا عسكرية مهمة تمثلت في الحرب مع المغرب وتونس و انجلترا و فرنسا، و من خلال نتائج هذه الأحداث يمكن للدارس استنتاج قوة البحرية الجزائرية و قدرتها على صد الهجومات الخارجية بل و حتى الهجوم على من يهدد استقرارها و التقليل من هيبتها، إذ ذكر تفاصيل دخول زيد بن مولاي اسماعيل في أول محرم من سنة 1103 على رأس جيش متكون من 1200 عربي نحو الجزائر عن طريق الصحراء و صدهم أهل تلمسان و بعد ثلاثة أيام أمر داي الجزائر حاج شعبان بتوجيه قوة لصدهم، و بعد إنهاء التجهيزات اتجهت 8 سفن إلى وهران في ربيع الأول ليتجهوا منها إلى تلمسان ثم لحقت بها المزيد من السفن تحمل جيشا

من زواوة و باتنة و قاد الداي الحرب و عاد منتصرا ثم أرسلت المغرب وفدا مكونا من علماء و شخصيات مهمة لإتمام إجراءات الصلح مع إيالة الجزائر.

و في سنة1105 ه/ 1694 اجتمع الديوان برئاسة أمير الجزائر لمناقشة تجاوزات باي تونس الذي طلب الضرائب من مواطنينا، و أجمعوا على إرسال حملة إلى بونة ثم لحق بها جيش مكون من 80خيمة من بايلك الغرب و 16 خيمة من التيطري ، كما لقوا مساندة من الشرق كقسنطينة كما وصلت أربع سفن من طرابلس لدعم الجزائر، فهاجم الجيش الجزائري و حلفاءه باي تونس.[9] و قد أشار إلى أن الديوان قد اجتمع برئاسة داي الجزائر لمناقشة تلك التجاوزات قبل الخروج بقرار شن هجوم على تونس و هذا يبين قيام الحكم على نظام الشورى . و في سنة 1708 / 1119ه، وجه بكتاش افندي أمير الجزائر جيشا إلى وهران بقيادة صهره بابا حسن الذي تمكن من استعادة وهران و تلقى الجيش مكافآت مالية كما صدر عفو عن المساجين و تخفيض في الضرائب بالمناسبة. بمناسبة هذا النصر العظيم، و يقول دوفو في ملاحظاته بهذا الشأن كما جاء باقتباس في هذا الشأن من كتاب بيليسي جاء فيه أن أوروبا كانت مشغولة بأكبر حرب دارت فيها، فاستغلت الجزائر الظروف و استولت على نقطة بحرية مهمة و خسرت إسبانيا بذلك حليفا هو بني عامر الذين كانوا معها لمدة قرن، و الذين أضحوا مجبرين على الخضوع للأتراك.[10] فقال دوفو في ملاحظاته أن المؤرخين الذين كتبوا عن هذا الحدث، أرجعوا ذلك لتخلي إسبانيا عن وهران عن طيب خاطر فقال أنه من خلال قراءته لكتاب التحفة المرضية وجد أن العرب ضخموا في وصفهم لحرب وهران. كما ذكر أن الرايس حميدو استولى على سفن تونسية في سنة 1226ه/1118م. ثم في سنة 1231 وجهت بريطانيا حملة بحرية كبيرة للجزائر اشتركت فيها سفن هولندية وبخدعة شراء العبيد دخلو مياهنا رافعين الراية البيضاء و باغتوا الجزائريين و أحرقو سفنهم، لكن دوفو هنا حاول التشكيك في صحة ما جاء في الوثيقة بمقارنتها بما قالة بيليسي عن عدد السفن الهولندية التي شاركت في الحملة وكذا اختلاف عدد الموتى الذي ذكره بيليسي عما ذكرته الوثائق الأرشيفية. لكن دوفو لم يبين للباحث في العنوان التواريخ التي يتناولها هذا الجزء من الكتاب، فقد إذ ذكر الحملة الإنجليزية كعنوانيين متتاليين دون ذكر السنة و لعله كان من الأجدى ذكر السنة أو قائد الحملة حتى لا يشوش ذهن الباحث بالعودة للوراء لاكتشاف أن الحملة الأولى هي حملة إكسماوث خاصة و أنه كتب التاريخ بالحروف و في الأول و بالأرقام في الثانية، فتناول الحصار الإنجليزي الذي تعرضت له الجزائر سنة 1823 لستة أشهر ثم تعرضها للهجوم بقيادة الأميرال نايل الذي لقي مقاومة عنيفة فاستسلم الإنجليز و قبل الداي الصلح مقابل تغيير القنصل و منحت مكافآت مالية و زيادات في رواتب الموظفين و الأتراك و أبناء الأتراك -كما سماهم دوفو- أي الكراغلة[11]. أما الحصار الفرنسي الذي تعرضت له الجزائر فقد أرجع الكتاب الفرنسيون سبب إخفاقه على سوء الأحوال الجوية.[12]

كان النظام الإداري في العهد العثماني بالجزائر شديد الدقة و الترتيب إذ كانت هناك تراتبية و تدرج في تسميات و مهام الموظفين، كما أنهم كانوا يعتمدون على الوثيقة المكتوبة حيث كانوا يدونون كل صغيرة و كبيرة كمواقيت التحاق العمال بمناصبهم و اجتماعات الديوان، بل و حتى ما يقدم لهم على موائد الطعام، و هذا يسهل على الباحث التعرف على تفاصيل حياة المسؤولين والمجتمع عامة، و قد تناول هذا الكتاب جوانب كثيرة على الرغم من بساطتها إلا أنها تعكس شدة التنظيم، فقد كان القصر يتكون من سرايا تقع في الطوابق العلوية و تحتها المحكمة التي يجتمع فيها الديوان و بها الأرشيفات و دار الباشا و بها شخصيات مهمة الآتشيباشي المكلف بتذوق الأكل و تحت إمرته جيش من الطباخين ، بالإضافة إلى الخزندار و هو المكلف بحفظ السلاح و الثياب، ومن الموظفين الرئيسيين نذكر الخزناجي و لآغا العسكر و ووكيل الخرج[13]، أما الأمناء فيسمون حسب الحرفة التي يمارسونها كأمين الحدادين و الصيادين[14]، أو حسب

المناطق التي جاؤوا منها كأمين الجواجلة و البساكرة كما يوجد الكثير من الموظفين زيادة على الرتب التي ذكرناها، أما الديوان فكانت له تفاصيل خاصة بالاجتماعات. و كان للكراغلة و الأتراك في الجزائر معاشات سواء كانوا انكشاريين أو لا. وفيما يخص الجانب البحري فقد كانت السفن منظمة ، إذ تحتوي كل سفينة على آغا و قائد سفرة و السفرة بها 8 جنود كما تحمل السفينة المؤونة و كان قبطان السفينة يقبض مبلغا من المال يوزعه على الطاقم، و في كل سفينة مجموعة رتب كرايس و باش رايس و رايس الطريق. و في الحديث عن الجيش قال دوفو في ملاحظاته أن كل التفاصيل التي ذكرت في الوثيقة الأرشيفية التي أخذ عنها مثل دور الجيش في تأمين وصول الضرائب من البيالك الأخرى و تعيين حارسين كل أسبوع لحراسة باب القصر وباب القصبة و يقبض كل منهما ريالا لقاء ذلك، وأن موادا غذائية متنوعة كانت تقدم كل شهر لكل خيمة، و كانوا يغيرون المدينة التي يعملون بها كل سنة، هي أحداث غير مهمة إلا ما تعلق بذكر تواريخ قدوم قادة الولايات للمشاركة في حملة تونس، و قد ذكر خروج سفينة محملة بالهدايا للسلطان و كان الأجدى ذكرها في الفصل المتعلق بالهدايا[15].

كان العاملون في القصر يتقاضون مبالغ مالية في مناسبات مختلفة كالأعياد الدينية و العودة من الحرب و تنصيب موظف مهم في الدولة و تختلف قيمتها من شخص لآخر، وكانت الجزائر تتبادل الهدايا مع القسنطينية و كانت الهدايا غالبا ثمينة و متنوعة فنذكر على سبيل المثال الهدية التي أرسلت سنة 1693م للقسطنطينية و متكونة من 10 عبيد سود رجال و 5 نساء ، و أغطية ثمينة و سجاد و حرير وذهب و غيرها، و الهدية التي جاءت من القسطنطينية على متن سفينة هولندية سنة 1766 التي جاءت محملة بالمعدات الحربية، و كان نقل الهدايا يتم على سفن الدولة أو باكتراء سفن أجنبية (هولندية انجليزية، فرنسية...)[16]، و قد يتولى المتلقي لهذه الهدايا دفع ثمن نقلها كالهدية التي وصلت من السلطان سنة 1198 و التي تولى وكيل الخرج دفع ثمن نقلها عند وصولها، ولم يقتصر تبادل الهدايا على القسطنطينية فقط بل كانت تأتي كذلك من البايات و البلدانالأخرى أيضا كالمدافع و الهدايا المتنوعة الأخرى التي وصلت من ملك انجلترا لمحمد باشا في الجزائر و هدية باي قسنطينة و هدية طرابلس على سبيل المثال.[17] وقد خلط دوفو المنح بالهدايا التي أسماها هي و غيرها أيضا بمصطلح ETRENNE الذي كان يقصد به مرة الهدية و مرة الزيادة في الراتب و مرة المكافأة و مرة ثمن تحرير الأسرى الأجانب و مرة الرسوم و الضرائب، و لعل هذا راجع لكون المؤرخ فرنسيا غير متمكن من اللغة العربية و مصطلحاتها، كما أنه لم يفصل الهدايا عن المكافآت المالية فنجد الفصل يحتوي على جزأين الأول يتحدث عن المكافآت و العلاوات التي لم يضع لها عنوانا أما الثاني فقد سماه بالهدايا.

أما فيما يتعلق بالنظام المالي فكانت هناك العديد من الضرائب كضريبة البشماق و الكشتولة و ضريبة الملح و الضرائب التي يدفعها اليهود سنويا كانت تدفع كأجور للعلماء، و ضريبة الزويجة[18] و الضريبة السنوية للأوطان الخاضعة التي تدفعها لمرسى تامنفوس و الضريبة التي تدفعها الحانات في الخريف ، ثم عاد دوفو هنا للحديث عن المكافآت و الهبات كالتي يدفعها القايد في الأعياد وذكر بعض الأسعار المحددة كسعر جلد البقر و ثمن النقل بالأحصنة . وذكر أيضا أنه عند القبض على سفينة تقدم للبايلك الذي يعطي سعرا لكل بضاعة موجودة فيها ، و يمكن شراء هذه السفن من طرف التجار المسلمين أو المسيحيين و هذا يدل على أن لكل مجال قوانين تضبطه[19]

و تناول الفصل الخامس أحداثا متفرقة إذ تحدث عن توزيع القمح من السلطات على الخبازين لصنع الخبز كمساعدة مجانية للشعب في سبيل الله، لكن دوفو لم يراع التسلسل الزمني للأحداث حيث أنه كتب عن سوء التفاهم الذي حصل سنة 1815[20] ثم انتقل لحدث

آخر و هو ظهور نجمة كبيرة في السماء بذنب مضيء و دام ظهورها أربعين يوما و كان هذا سنة 1811، ثم تحدث عن اضطرابات حدثت في وهران و تم قطع رأس من قام بها و تعليقه على باب القصبة في 1818 ليعود للوراء للحديث عن حدث آخر وقع قبله في سنة 1816 و هو رعد دام لمدة ساعتين ، ثم واصل الحديث عن الزلزال الذي دمر البليدة سنة 1824[21]، ثم تحدث عن عين الحامة المائية و منبعها، و تحدث عن وادي الشلف الذي بناه سنة 1929 جزائريون و عبيد يونانيون و يعود صاحب الكتاب للحديث عن الهدايا إذ يذكر أنهم أعطوا للعمال 167 livre من الصوف تناقصت إلى 93 livre بعد ما نقصت منها بقايا الصناعة نسجوا بها أربع حايك أحمر أرسل للقسطنطينية و يعود للسطر قائلا: أعطيناهم مكيالين من الزيت، و هنا لا يمكن للباحث أن يفهم إن كان الزيت يستخدم في هذه الصناعة أو أنه ثمن الصناعة.

و إن صعوبة تلخيص محتوى فصول الكتاب التشريفات عامة و هذا الفصل بالخصوص تكمن في كون الأحداث و الأخبار متفرقة و بعيدة عن بعضها البعض سواء من حيث المجال إذ نجده بعد الانتقال من الحديث عن الظواهر الطبيعية كالبرق الذي حطم منارة ميناء و الرعد الذي لم يتوقف عاد للحديث عن العملة التي كانت نوعان: ذهبية و فضية، و كان إنتاجها يخضع لقانون يحدد كمية إنتاج كل منها، فيوجد ذهب سلطاني، و نصف سلطاني و ربع سلطاني و لكل منها قيمته[22] ، و في سنة 1686 قرر الحاكم إنتاج دراهم صغار من النحاس.، و كانت النقود تبيض و تنظف من طرف اليهود بواسطة النار[23]، و في الحديث عن المعادن فإن حدوة الحصان كانت تصنع من البقايا المتطايرة عند صناعة الحديد. ويعود دوفو للحديث عن المنح المالية إذ يذكر أن عند ولادة أمير للسلطان تمنح زيادة في راتب الجيش.

أما الفصل السادس من هذا الكتاب فقد ورد دون عنوان وهو فصل خاص بإحصائيات الأسرى المسيحيين الذين تباينت أعدادهم من سنة لأخرى بين زيادة و نقصان و قد تم تسجيلهم في جداول حسب التاريخ الذي وقعوا فيه في الأسر، و حسب بلدانهم الأصلية و هم من مختلف البلدان كفرنسا ، اليونان، مالطا، أمريكا و روسيا و البرتغال و النمسا و إسبانيا كالأربعة الذين أرسلهم باي وهران و غيرها، كما يوجد بين الأسرى شخصيات مهمة كقباطنة السفن و الأطباء و الكتاب و الشعراء و غيرهم.

قيمة الكتاب:

تكمن قيمة كتاب التشريفات في كونه كتابا إداريا أي نقل عن وثائق أصلية من الأرشيف الذي وجده دوفو في مصلحة الدومين حيث أنه بعد احتلال فرنسا للجزائر نقلت كل الوثائق المهمة التي وجدت في قصر الداي و في الإدارات و عند كبار الموظفين إلى مصلحة الدومين، و بما أن دوفو كان محافظ الأرشيف العربي بالمصلحة فقد كان قريبا من الوثائق مما سهل له الاطلاع على كل ما فيها و استغلالها ، و قد أشار الدكتور سعيدوني في كتابه ورقات إلى الوثائق الأصلية للكتاب في أرشيف المكتبة الوطنية[24]، فكون هذا الكتاب ناقلا عن الأرشيف يجعله بالغ الأهمية في إعادة كتابة التاريخ شأنه شأن غيره من كتب المراسلات وفهرس فانيان قد أشار إليه حيث جاء في هذا الفهرس ما نّصه:"تقارير ورسائل وملاحظات باللغة التركية حول تاريخ الجزائر منذ عهد الداي شعبان في 1103هـ، حتى أوائل الاحتلال الفرنسي، النسخ بدأ باسم محمد الكاتب. قسم كبير منها تمّ ترجمته من طرف ألبير دوفو، والمخطوط باللغة التركية، وبالخط الديواني[25] ، و على الرغم من كل الملاحظات التي أدخلها دوفو على الكتاب في نهاية كل فصل أو فكرة أحيانا ، إلا أن الباحث فيه يمكن أن يحصل على معلومات و أرقام دقيقة كما وردت في مصدرها الأصلي أي كما دونت في تاريخ وقوعها لكون دوفو احتفظ بما يوجد داخل الوثائق ثم علق عليها مستشهدا بكتابات أجنبية، إلا أنه لم ينجح في إعادة ترتيب هذه الوثائق التي جمعها في الكتاب إذ لم يراع

تسلسل الأحداث زمنيا، فالباحث في هذا الكتاب و غيره من الكتابات الغربية يحتاج للقدرة على تمييز الصواب من التدليس من أجل الحفاظ على تاريخنا و الارتقاء بدراساتنا التاريخية .

خاتمة:

إن دراستي المتواضعة لهذا الكتاب جعلتني أقف على بعض الحقائق المهمة فيما يخص البحث التاريخي الفرنسي في تاريخ الجزائر، منها ما هو إيجابي و منها ما هو سلبي، فمن الإيجابي أن نجد وثائق بلغة يستطيع الباحثون الجزائريون البحث بها وهي اللغة الفرنسية التي هي رغم كونها لغة المستعمر إلا أنها اللغة الثانية عندنا شئنا أم أبينا، فبدل أن تبقى الوثائق المكتوبة باللغة العثمانية حبيسة رفوف مراكز الأرشيف و المكتبات لعدم تمكننا للأسف من قراءتها بلغتها الأصلية إلا نادرا و لعدم وجود ترجمات مباشرة لها من العثمانية إلى العربية، قدمها لنا الباحثون الفرنسيون بلغتهم مما أضاف الكثير للأبحاث التي استقت من هذه المصادر. إلا أن الجانب السلبي في الموضوع هو أن نترك الأصل و نأخذ عن الفرع مع العلم أن التحريف و التزييف يشوب هذه الوثائق التي ترجمها الغرب، و هذا حسب ما يخدم مصالحهم الاستعمارية، فمهما كان دوفو و غيره موضوعيون و يتحلون بالأمانة العلمية، إلا أنهم يدسون آراءهم و توجهاتهم داخل النصوص و بين الأسطر مما يحتم علينا توخي الحذر و اتلاك الباحث لروح نقدية يستطيع من خلالها تمييز الخبيث من الطيب. فلم يعد هناك بد من إزاحة الغبار عن موروثنا التاريخي و دراسته دراسة محلية دقيقة تخلو من التحيز و المطلوب هنا هو التفتح على اللغات الأجنبية مهما كانت من أجل التمكن من فهم تاريخنا و إعادة كتابته بالشكل الصحيح. فهذا الكتاب محل الدراسة بحاجة لإعادة دراسة و نقد من خلال ترجمة الوثائق الأرشيفية الأصلية و إعادة ترتيبها و تصنيفها بما يخدم التسلسل الزمني للأحداث و ترتيبها و تصنيفها تصنيفا صحيحا يجعل الباحثين يستفيدون من المعلومات و الأحداث التاريخية التي تتضمنها من أجل إثراء المعارف التاريخية للفترة المدروسة في الكتاب من دون الاطلاع على ملاحظات الكاتب الذي لم يكن متمكنا حتى من اللغة العربية بل خاض في مجال بعيد عنه، فالمجال مفتوح للباحثين لإعادة فتح هذه الارشيفات و دراستها للتخلص من التبعية للغرب في كل مجالاتنا وحتى في البحث العلمي.

الهوامش:

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009. ص 62.

[2]- حنيفي هلايلي، ثنائية توظيف المصادر المحلية و الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس و دي غرامون، مجلة الحوار المتوسطي، العدد1، 2014، ص7-20.

[3]- عبد القادر نايلي، التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية، المجلة الإفريقية نموذجا، مجلة دراسات و أبحاث، العدد 3، 2011. ص ص 54-82

[4]- عبد الجليل التميمي، فهرس الدفاتر العربية التركية بالجزائر، المجلة التاريخية المغربية، العدد2، ص 138.

[5]- Deny, jean, documents turcs interdits relatifs a l'Algerie des années 1754-1829 , in, journal Asiatique, mais, juin 1914, pp 705-709.

[6] - Pelissier .de Reynau, Anales Algeriennes , Paris1845, T1. p p 74-75.

[7] - Azan (p) lEmir Abdelkader (1808-1883), paris, hachette, 1925, p 189.

[8] - سعيدوني، نفسه، ص 63.

[9] - De voulx, (A), Tachrifat notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, alger, imprimerie du gouvernement, 1852. pp 11-12.

[10] - E. Pelissier, Exploration scientifique de l'Algerie, Paris, imprimerie royale, 1844-1867, t6, p 409.

[11] الكراغلة هم عنصر نتج عن زواج أفراد الجيش التركي بنساء البلاد، ظهرت لأول مرة في المدن التي تمركزت بها الحاميات التركية، و قد أبعدهم الحكام الأتراك عن تولي الوظائف السامية في الجيش و الإدارة وكذا عن الديوان و الأوجاق. للمزيد انظر: عائشة غطاس، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة دكتوراه – جامعة الجزائر، 2001/2000، ص15.

[12] - أنظر: جمال قنان، عنصر الأزمة الجزائرية الفرنسية عام 1827م، مجلة التاريخ، ع خاص، الجزائر 1984، ص14.

[13] - للمزيد انظر: خليفة ابراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر و الباب العالي من سنة 1798 إلى سنة 1830م، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، 1988، ص 42.

[14]- للمزيد أنظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 94.

[15] -de voulx, op cit, p 38

[16] - انظر: خليفة حماش، المرجع السابق. ص 157.

[17] - de voulx, op cit, pp 58-60.

الزويجة هي قطعة الأرض التي يمكن لزوجين من البقر حرثها في موسم واحد يتحصل عنها 12 كيلة من القمح و 12 كيلة من الشعير، و تساوي 8 كيلات من الحبوب صاعا واحدا أي ما يساوي 149 لترا، للمزيد انظر:

[18] -L. Bonzem: *Du régime fiscal Algérien*, thèse, Paris, 1899, p: 20.

[19] - de voulx, op cit, pp85-68.

[20] -- انظر: الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق و تقديم أحمد توفيق المدني، الجزائر، ش. و. ن. ت، 1974، ص 155.

[21]- انظر: بدر الدين شعباني، المصنوعات العدنية الجزائرية خلال العهد العثماني ، دراسة تقنية وفنية مقارنة (10-13 هـ/ 16-19م)، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2009-2010م.، ص 153.

[22] - de voulx, op cit, pp 122-124.

[23] - للمزيد أنظر:

Berque (FC), art antique et art musulman en Algérie, cahiers de centenaires de l'Algérie,sd, p,93.

[24] - سعيدوني ، المرجع السابق، ص 57.

[25] - FAGNAN (E) catalogue géneral des manuscrits de la bibliotheque nationale d'Algerie, 2eme édition, Alger, 1995, p458.

قائمة المراجع:

العربية:

1- الزهار الحاج أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق و تقديم أحمد توفيق المدني، الجزائر، ش. و. ن. ت، 1974م.

2 – سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

الأجنبية:

1- Azan (p) lEmir Abdelkader (1808-1883), paris, hachette, 1925.

2- Berque (FC), art antique et art musulman en Algérie, cahiers de centenaires de l'Algérie,sd.

3- De voulx, (A), Tachrifat notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, alger, imprimerie du gouvernement, 1852.

4- Pelissier, (E), Exploration scientifique de l'Algerie, Paris, imprimerie royale, 1844-1867, t6.

المقالات:

العربية:

1 - هلايلي حنيفي، ثنائية توظيف المصادر المحلية و الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس و دي غرامون، مجلة الحوار المتوسطي، العدد1، 2014.

2 – نايلي عبد القادر، التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية، المجلة الإفريقية نموذجا، مجلة دراسات و أبحاث، العدد 3، 2011.

3 - قنان جمال، عنصر الأزمة الجزائرية الفرنسية عام 1827م، مجلة التاريخ، ع خاص، الجزائر 1984.

4 - عبد الجليل التميمي، فهرس الدفاتر العربية التركية بالجزائر، المجلة التاريخية المغربية، العدد2.

الأجنبية:

1 -Deny, jean, documents turcs interdits relatifs a l'Algerie des années 1754-1829 , in, journal Asiatique, mais, juin 1914.

الأطروحات:

العربية:

1 - حماش خليفة ابراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر و الباب العالي من سنة 1798 إلى سنة 1830م، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، 1988.

2 – بدر الدين شعباني، المصنوعات العدنية الجزائرية خلال العهد العثماني ، دراسة تقنية وفنية مقارنة (10-13 ه/ 16-19م)، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2009-2010م.

3 – غطاس عائشة، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، أطروحة دكتوراه – جامعة الجزائر، 2001/2000.

الأجنبية:

- Bonzem: *Du régime fiscal Algérien*, thèse, Paris, 1899